

جامعة العربي بن مهدي

أمّ البواقي

الجزائر

الندوة الدوليّة:

## أثر تكنولوجيا المعلومات والاتّصال في تعليم اللغات وتعلّمها

14-15 نوفمبر 2021

مخوّر: تجارب الدول في تدريس اللغة وفق المناهج الحديثة

في ظلّ تكنولوجيا المعلومات والاتّصال

عنوان المُداخلة

“التجربة التونسية في إدماج تكنولوجيا المعلومات والاتّصال

في تعليم / تعلّم اللغات،

مُقاربة ديداكتيكية منظومية”

أحمد رضا حمدي

باحث في تعليميّة اللغة العربيّة

مستشار خبير في الحياة المدرسيّة

تونس

## المراجع

- نور الهدى باديس، 2020، اللغة العربية في عصر الرقميات، الرّهانات والصعوبات، (ألكسو/ جامعة تونس: اليوم الدراسي لاستشراف آفاق المستقبل).
- محمد بكّادي، 2015، ضرورة اعتماد المقاربة المنظومية في التدريس لضمان جودة العمليّة التعليميّة، مجلة "إشكالات في اللغة والأدب"، معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي لتامنراست – الجزائر العدد السابع / ماي 2015.
- عبد الرزّاق السومري 2012، دور الوسائط المتعدّدة في تطوير درس العربيّة، أشغال ندوة كئيّة الآداب بالقيروان، تعليم العربيّة وتعلّمها.
- خالد الشّاطبي، 2020، التعليم عن بُعد، هل منظومتنا التربوية مستعدّة لذلك اليوم؟ مجلة "ليدرز"، تونس، أفريل 2020.
- أحمد شبشوب، 1997، تعلّميّة الموادّ، تونس.
- حفصة بعلي الشريف، 2010، المُقاربة المنظوميّة، مجلة البحوث والدراسات. الجزائر.
- فتحي فارس، مجيد الشارني، 2003، مدخل إلى تعليميّة اللغة العربيّة، دار محمد علي للنشر، تونس.
- المختار كرّيم، 2020، اللسانيّات في خدمة تيسير تعليم اللغة العربيّة وتزسيم حدود الرقمنة (ألكسو/ جامعة تونس: اليوم الدراسي لاستشراف آفاق المستقبل).
- Françoise Demaizière, 2014, séminaire "Numérique et langues ", France.

- Lise Vieira, 1996, *Les fonctions métaphoriques du Mulimédia*, "Communication et langages", Presses Universitaires de France. 109.
- Larry Cuban, 1997, *Salle de classe contre ordinateur*, Recherche et Formation, n°26.
- Xavier Roegiers, 2000, *Une pédagogie de l'intégration*, Compétences et intégration des acquis dans l'enseignement. Bruxelles, De Boeck.

## المحتوى

### مقدمة

#### 1- مفاهيم

1-1: وسائل الإعلام والاتصال

2-1: مفهوم الإدماج

3-1: المقاربة البنائية

4-1: المقاربة المنظومية

5-1: أهم مبادئ تعليم اللغات وفق المناهج الحديثة

2- التجربة التونسية في إدماج وسائل الإعلام والاتصال

1-2- على مستوى النصوص القانونية:

2-2- على مستوى الإنجاز:

3- مشاكل التجربة

خاتمة

## مقدمة

يَستمدُّ هذا البحثُ وَجَاهَتَهُ (pertinence) التربويّة من ثلاث جهات على الأقلّ:

الأولى ما أصبح مطروحا على الأنظمة التعليميّة في الوطن العربيّ من تحدّيات بفعل التطوّرات المتلاحقة وخاصّة منها ما يُعرف بالثورة الرقميّة، وهي الثورة الكبرى الثالثة في تاريخ البشريّة، كما يقول الفيلسوف الفرنسي "ميشال سار" (Michel SERRES (1930-2019))، بعد اكتشاف الكتابة في الحضارة الشرقيّة القديمة، واكتشاف الطباعة في عصر النهضة.

فالثورة الرقميّة أحدثت تطوّرا جذريّا في أشكال التواصل جعل الوسائط الجديدة جزءا من حياة الإنسان عامّة، والمتعلم خاصة، وجعل لها أثرا قويا في حياة المتعلم اليومية، وفي ما يمارسه من أنشطة صقيّة أو خارج صقيّة، ممّا يفرض استثمارها والاستفادة من نتائجها وآثارها في التعليم عامّة، وفي تعليم اللغات بشكل خاصّ، نظرا لمحوريّة البُعد التواصليّ فيه.

والجهة الثانية ما أحدثته جائحة كورونا من رجّة في كافّة أنحاء العالم كشفت هشاشة عالميّة عامّة، وهشاشة أشدّ في البلدان الأقلّ نموًا، ومنها الدول العربيّة. ومن القطاعات التي بيّنت الجائحة عجزها عن مواكبة التحوّلات والطوارئ قطاع التعليم، فقد توقّف التعليم الحضوري التقليديّ، وأغلقت أكثر من 160 دولة مؤسساتها التعليميّة بسبب جائحة كورونا، وتُرك التلامذة والطلبة لشأنهم لفترات طويلة دون برنامج تعليميّ بديل، إذا استثنينا بعض المبادرات المتواضعة هنا وهناك<sup>1</sup>.

أمّا الجهة الثالثة فتتعلّق بوضعيّة تعليم اللغات في تونس، ومستوى مكتسبات التلاميذ فيها. فقد أثبتت الامتحانات الوطنيّة، وخاصّة خلال العشريّة الأخيرة، والتقييمات الداخليّة والخارجيّة (ومنها مشاركة التلاميذ

<sup>1</sup>خالد الشابي، التعليم عن بُعد، هل منظومتنا التربويّة مُستعدّة لذلك؟ مجلّة "ليدريز"، أبريل 2020، تونس.

التونسيين في اختبارات دوليّة مثل "بيزا" (PIZA)، ضعفا كبيرا في نتائجهم في اختبار اللغة، وهذا ما أكّده وزير التربية "حاتم بن سالم" في جويلية 2018<sup>2</sup>، و"فتحي السلاوتي" في مارس 2021<sup>3</sup>.

كلّ هذه المُعطيات تدلّ على أنّ الطرُق القديمة في تدريس اللغات لم تُعدّ تُؤدّي الوظيفة المطلوبة، ولم تُعدّ تستجيب لمعايير جودة التعليم العالميّة، وأنّ من الضروريّ إدماج طرق جديدة. وفي هذا السياق نطرح سؤالاً جوهرياً: ألا يجدر بنا التفكير في مُقاربة جديدة لتدريس اللغات بالوسائط؟ أما أن الأوان للمقاربة الديدانكتيكيّة، ومن وظائفها البحث عن حلول لصعوبات التعليم وعراقيله، أن تضطلع بدورها في هذا المجال؟

لماذا المقاربة الديدانكتيكيّة لموضوع إدماج الوسائط؟

لأنّ المُلاحظ في ما يتعلّق بإدماج الوسائط، في التعليم عامّة، وتعليم اللغات بشكل خاصّ، أنّ المقاربة الديدانكتيكيّة عادة ما تكون "المنسيّ الكبير" *la grande oubliée*<sup>4</sup>، وأنّ مجال البحث والعمل في هذا المجال استأثرت به في مستوى البحث علوم أخرى كعلوم التربية وعلوم الإعلام والتواصل وعلم النفس العرّفانيّ وعلم الأعصاب، وفي مستوى التدخّل الميدانيّ مهندسو مصالح الإعلام والتواصل التربويّة الذين عادة ما يتعاملون مباشرة مع "مدرّسين ميدانيّين" لإنجاز مشاريع إدماج غريبة أو متسرّعة، من وجهة النظر الديدانكتيكيّة.

لماذا المقاربة البنائيّة والمقاربة المنظوميّة؟

لسببَيْن رئيسيَيْن:

أولاً، لأنّ المقاربتين من أبرز المقاربات التي حافظت على قيمتها، وقد مضى الآن قرنٌ على نشأتها، وظلّت أغلب برامج الإصلاح التربويّ، في العالم عامّة، وفي الوطن العربيّ بشكل خاصّ، تعمل بمبادئها، وتحرص على الاقتراب منها.

وثانياً، لما لاحظناه، في مجال تعليم اللغات في تونس عل الأقلّ، من أنّ استخدام تقنيات الإعلام والاتصال لم تكن وراءه رؤية تربويّة بنائيّة منظوميّة، ممّا أدّى إلى محدوديّة النتائج، رغم حجم الموارد البشريّة والماديّة التي تمّ رصدُها من قبل وزارة التربية.

<sup>2</sup>جريدة الصباح، التونسية، 7 جويلية 2018.

<sup>3</sup>في حوار تلفزيونيّ بقناة "التاسعة" التونسية يوم 4 جوان 2021

<sup>4</sup> Françoise Demaizière, séminaire "Numérique et langues", France., 2014.

## 1- مفاهيم

في هذا المدخل النظري الموجز اخترنا أن نعرّف بخمسة مفاهيم: وسائل الإعلام والاتصال، مفهوم الإدماج، المقاربة البنائية، المقاربة المنظومية، أبرز مبادئ تعليم اللغات.

### 1-1 - وسائل الإعلام والاتصال:

هي الوسائل التكنولوجية الرقمية المستخدمة في توصيل المعلومات المختلفة والاتصال بين الأفراد والمجموعات (تقنيات الإعلام، والسمعي البصري، ومعالجة المضامين المختلفة، كالنصوص والصور، والأصوات والموسيقى، ومقاطع الفيديو، والوسائط المتعددة، وشبكة الأنترنت، ونقل المعرفة بين المجتمعات. ويتم ذلك عن طريق جمع البيانات والمعلومات سواء أكانت مسموعة أم مصورة أم مكتوبة أم مرسومة عن طريق الحاسبة الإلكترونية، ومن ثم تخزينها والعمل على استرجاعها بكل سهولة ويسر في الوقت المناسب، ثم نشرها ونقلها من مكان إلى آخر أو مبادلتها.

ومن منظور تربوي تعليمي يمكن اعتبار تدريس اللغات بإدماج تقنيات الإعلام والاتصال امتدادا للنظريات التربوية ونظريات التعلم النشيطة التي عملت كل الإصلاحات التربوية في الوطن العربي على تطبيقها، أو على الأقل الاستئناس بها، بحُظوظ متفاوتة من النجاح، وخاصة منها النظرية البنائية والمقاربة المنظومية.

### 1-2- الإدماج:

أردنا أن نعرّف بإيجاز مفهوم الإدماج *intégration* لتمييزه عن مفاهيم مجاورة له إلى حدّ الالتباس أحيانا مثل الاستخدام والاستعانة والتوظيف وغيرها، وهي مفاهيم نعتبرها من مشاكل تعليم اللغات. وهو، في الأصل، مفهوم مركزي في بيداغوجيا المقاربة بالكفايات *Approche par Compétences* ولكنه يلتقي مع ما نقصده في هذه المداخلة من إدماج تقنيات الإعلام والاتصال في تعليم اللغات.

فالإدماج بالمعنى الذي نريده هو "استيعاب نشيط من قبل المتعلم لمكتسبات جديدة بكيفية تجعلها منسجمة مع المكتسبات السابقة بهدف تعينها في وضعية ما"<sup>5</sup>. ومن خصائص نشاط الإدماج أن يكون

<sup>5</sup> Xavier Roegiers, 2000, Une pédagogie de l'intégration, Compétences et intégration des acquis dans l'enseignement. Bruxelles, De Boeck.

المتعلم فاعلا رئيسيا ومحركا للمعرفة وليس مجمعا أو متقبلا سلبيا لها، وأن يكون هذا النشاط متمفصلا، متفاعلا مع المحيط، موجها نحو هدف نهائي.

والإدماج أساس لبيداغوجيا بعينها "بيداغوجيا الإدماج" من أبرز أهدافها:

- إعطاء التعلّات معنى ودلالة، وذلك بجعل المتعلم يستفيد منها في تعامله مع وضعية حاضرة أو لاحقة.
  - اكتساب المتعلم القدرة على التمييز بين ما هو أساسي وما هو هام وما هو أقل أهمية، سواء في تعلّماته، أو في حياته اليومية.
  - تدريب المتعلم على كيفية استعمال المعارف في وضعيات، ليس عن طريق شحن ذهنه بالمعرفة، ولكن بجعله قادرا على إبراز الروابط والعلاقات بين المعارف والقيم.
- وسنرى في ما يلي من المداخلة أنّ من أبرز مشاكل التجربة التونسية في تعليم اللغات غياب المفهوم الصحيح لإدماج تقنيات الإعلام والتواصل.

### 3-1 - المقاربة البنائية:

تعد نظرية التعلّم البنائية من أهمّ النظريات التي أحدثت ثورة عميقة في الممارسة التربوية الحديثة في العالم. فقد حاول عالم النفس والتربية جان بياجيه (1896-1980) Jean PIAJET، انطلاقا من دراساته في علم النفس الطفل النمائي، أن يمدّنا بعدة مبادئ ومفاهيم معرفية علمية حول تطوّر اكتساب المعرفة لدى الإنسان.

وعلى عكس السلوكيين behavioristes، الذين يعتبرون العامل الخارجي محددا للتعلّم، وأنّ المتعلمين يتقبّلون المعلومات ويخزّنونها، فالبنائيون، ثمّ العرفانيون البنائيون بعدهم، يؤكدون على أنّ التعلّم سيرورة داخلية، وأنّ المتعلمين يبنون معرفتهم من خلال عمليات مختلفة حسب مراحل نضجهم الذهني، ويحاولون دائما إيجاد معنى لكل ما يتعلّمونه.

ويلتقي بياجيه مع عالم النفس الأمريكي "جون ديوي (1859-1952) John DEWEY"

في أنّ المعرفة تتّم من خلال النشاط والخبرة والربط بين الأشياء، في تفاعل مع البيئة بما فيها المكوّن الاجتماعي، وفي أنّ التعلّم عملية نشطة للبناء المعرفة وليست مجرد اكتساب لها. وهذا من العناصر التي سنجدّها لاحقا في مقاربات حديثة أبرزها المنظومية.

ورفض البنائيون تصوّر للتعلّم على أنّه مجرد نشاط، كما في النظريّات السابقة، وشدّدوا عل

ضرورة إدراك المتعلّم الغاية منه، وهو المبادئ والمفاهيم التي تربط بين الأشياء والمعارف، لا الاقتصار على الحقائق والمعارف المجزأة المنفصلة.

وإذا كانت تقنيات الإعلام والاتّصال توفّر لمتعلّم اللغة سيناريوهات نشاط عديدة، وبهذا المعنى تتفق مع البنائية، فإنّ المختصّين في تعليميّة اللغات يؤكّدون على أنّه كي يتمّ إدماجها بشكل صحيح فيّ الضروريّ تدريب المتعلّم على الربط بين النشاط والتفكير، أي اعتماد الممارسة التأمليّة "الميتالغويّة".

وعلى ضوء مبادئ المدرسة البنائية وتصوّرها لعمليّة التعلّم نلاحظ أنّ معظم المناهج والكتب المدرسيّة عندنا تفتقر، ينسب متفاوتة، إلى تنظيم المعرفة المدرسيّة حسب محاور ومبادئ كبرى، وتركز على مجموعات من الحقائق أو الأنشطة المُجزّأة، لا يفهم المتعلّم الغاية منها، ولا العلاقة بينها. وهذا ما يجعل المعرفة المدرسيّة التي يتلقاها التلميذ لا تتجاوز الذاكرة المتوسطة الأمد، في أحسن الأحوال، ولا تُخزّن في الذاكرة طويلة الأمد، كي تتحوّل إلى "ثقافة" دائمة، بأشمل وأعمق ما في الكلمة من معنى.

#### 4-1 - المقاربة المنظوميّة:

يعتبر الكثير من علماء التربية والممارسين لها أنّ المقاربة المنظوميّة من أكفأ المقاربات لتأهيل الفرد والمجتمع لمواجهة تحديات العولمة،<sup>6</sup> وذلك بتنمية تفكيره العلمي وحسّه الإبداعيّ والنقديّ، وكذلك المهارات الأساسية، ونقله من التفكير الخطّي إلى التفكير المنظوميّ الذي يُعتبر ضرورة للتنمية العلمية والتكنولوجية التي تتطلب الإعداد الجيد لتحقيق الجودة الشاملة.

وتقوم المقاربة المنظوميّة على أنّ المنظومة بنيّة ديناميكيّة متفاعلة مع محيطها، تتألّف من مكونات في تفاعل بيّنيّ متبادل لتحقيق هدف. وتمتاز المنظومة، زيادة على الخاصيّة التفاعليّة، بخاصيّة التعديل الذاتيّ وقابليّة التكيف عن طريق "التغذية الراجعة Feed-back".

وتُعرّف المنظوميّة في مجال التدريس والتعلّم، بأنّها دراسة المفاهيم أو الموضوعات من خلال منظومة متكاملة تتضح فيها كافة العلاقات بين أيّ مفهوم أو موضوع وغيره من المفاهيم أو الموضوعات، مما يجعل المتعلم قادرا على ربط ما سبقته دراسته مع ما سوف يدرسه في أيّ مرحلة من مراحل الدراسة من خلال خطة محدّدة، واضحة المعالم.

<sup>6</sup> د حفصة بعلي الشريف، 2010، المقاربة المنظومية. "مجلة البحوث والدراسات" عدد 10. الجزائر.

ويذكر أحد الباحثين<sup>7</sup> عدّة سمات ومزايا للمقاربة المنظوميّة نختار منها ثلاثة اعتبرناها أقرب إلى موضوع مداخلتنا وهي:

- البنائية: فهي مقاربة بنائية تُكسب المتعلم القدرة على ربط ما يدرسه بما درسه سابقاً، وما سوف يدرسه لاحقاً في أيّ منهاج دراسي، أو أيّ مرحلة من مراحل التعلم وبما يسمح بالتغذية الراجعة والاستباقية التي تصحّح من مسار التعليم والتعلم<sup>3</sup>.
  - المظلة التربوية: حيث تعتبر المنظوميّة مقاربة شاملة مفتوحة، ومظلة يندرج تحتها أكثر من إستراتيجية وأسلوب للتعليم والتعلم، مثل التعلّم النشط، والتعلّم التعاوني، والتعلّم عن بُعد (وسنعود إليه بشكل خاصّ لعلاقته الوطيدة بتقنيات الإعلام والاتّصال)، والتعلّم عن طريق أسلوب حلّ المشكلات.
  - الجودة: تحقّق الأهداف الكبرى لمنظومة التعليم وتنطلق نحو التفكير المفتوح والنمو المتواصل للمعرفة بما يُحقّق جودة التعليم.
- ويؤكد بعض المختصّين في تعليم اللغات باستعمال الوسائط التكنولوجيّة أنّ الزوج تقنيات الإعلام والاتّصال / تجديد لا يستطيع أن يتطوّر بشكل فعّال إلاّ من خلال مقاربة شاملة للإشكاليّة<sup>8</sup>

### 5-1 - تعليم اللغات وفق المناهج الحديثة

يتفق المختصّون في أنّ تقنيات الإعلام والاتّصال هي أوّل ما نفكّر فيه عند الحديث عن تعليم اللغات وذلك لسببين أساسيين: كثرة الموارد الرقميّة التي تُوفّرها، وإتاحة الفرصة للمتعلّم كي يتعلّم حسب نسقه الخاصّ، وبالتفاعل مع مخاطبين عن بُعد ليسوا بالضرورة متعلّمين للغة. حتّى أنّ بعض التعليميين يتحدثون عن "تعليميّة خفيّة" *Didactique invisible*<sup>9</sup>.

وتتسم تعليميّة اللغات بسميّة تميّزها عن سائر التعليميّات وهي أنّ اللغة فيها تمثّل مكّونا من مكّونات كلّ قطب من أقطاب المثلث التعليمي<sup>10</sup> فالمعرفة ليست محتوى خارجياً في عمليّة التعلّم، بل هي اللغة ذاتها، وكلّ من المُعلّم والمتعلّم ذاتٌ لغويّة.

<sup>7</sup> محمد بكادي، 2015، مجلّة "إشكالات في اللغة والأدب"، تامنراست، الجزائر، عدد 7.

<sup>8</sup> Annick RIVENS MOMPEAN, 2013, Apprentissage des langues en autonomie dans un dispositif institutionnel avec le numérique-approche par complexité. Université du Havre. France.

<sup>9</sup> Christian OLLIVIER, 2012, *Approche interactionnelle et didactique invisible*. (ALSIC), vol.15, n°1.  
<http://LL//alsic.revues.org/2402>.

بهذا المعنى فتعليمية اللغات لا تطرح مشكل النقل التعليمي إذ ما هي المعارف العالمية التي يجب تحويلها عبر النقل الديداكتيكي إلى معرفة مدرسية؟<sup>11</sup>

وحين تكون اللغة عنصرا مكونا للذات، سواء عند المعلم أو المتعلم، فإن طريقة تعليمها تختلف جذرياً عن تعليمات بقية العلوم. وهذا معطى تعليمي أساسي يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار في تعليم اللغة من خلال الوسائط الرقمية.

فأبرز الفوارق بين الطرق القديمة في تعليم اللغة والطرق الحديثة يعود إلى تصوّر كل منها لموقع اللغة من المتكلم المتعلم، ووظيفتها بالنسبة إليه. فالمدرسة القديمة تعتبر اللغة مادة دراسية، ومركز الاهتمام عندها هو المعلم، وطريقة التعليم هي التلقين وحفظ القواعد. أما المدرسة الحديثة فتتنظر إلى اللغة نظرة وظيفية، فتهتم أساساً بالمتعلم وتدريبه على الاستعمال الصحيح للغة، وهو الاستعمال **الساكن** الذي يؤدي كما يجب الوظيفة التواصلية.

وتسعى المناهج التربوية الحديثة إلى إكساب المتعلمين المهارات اللغوية الأربع (الاستماع (الفهم)، والكلام والقراءة والكتابة) من خلال مادة لغوية منسجمة مع المحيط اللغوي، بعيدة عن كل استعمال مهجور. وتعليم اللغات الحديث يعتمد كثيراً على السماع والنطق ووضع المتعلم في "المحيط اللساني للغة"، وهذا مجال يمكن للوسائط أن تُقدّم فيه الكثير.

## 2- التجربة التونسية في إدماج وسائل الإعلام والاتصال

### 2-1- على مستوى النصوص القانونية:

انطلق التفكير بصفة فعلية في إدماج تقنيات الإعلام والاتصال في التعليم في تونس منذ عشرين سنة تقريباً وبالتحديد سنة 2002، حين صدر القانون التوجيهي للتربية والتعليم المدرسي (القانون التوجيهي للتربية والتعليم المدرسي عدد 80 لسنة 2002 المؤرخ في 23 جويلية 2002 المتعلق بالتربية والتعليم المدرسي). ثم الخطة التنفيذية لمدرسة الغد 2007/2002.

وقد نص القانون التوجيهي على إدماج تقنيات الإعلام والاتصال في موضعين أساسيين:

- في الفصل التاسع من العنوان الأول "في رسالة التربية" من الباب الأول: "في رسالة التربية ووظائف المدرسة" حيث ورد ضمن وظائف المدرسة الأساسية (تمكين المتعلمين من إتقان اللغة

<sup>11</sup>فتحى فارس- مجيد الشارني، 2003، مداخل إلى تعليمية اللغة العربية.

العربية، بصفتها اللغة الوطنية / تمكين المتعلمين من حذق لغتين أجنبيتين على الأقل/ تنمية مختلف أشكال الذكاء الفكري والحسي والعملي / تهيئة الناشئة لمواجهة المستقبل وإعدادهم لمسايرة المتغيرات والإسهام فيها إيجابيا.) **"والمدرسة مدعوة بالخصوص إلى: "تمكين المتعلمين من حذق استعمال تكنولوجيا المعلومات والاتصال وإكسابهم القدرة على توظيفها في سائر المجالات".**

- في الفصل 52 من العنوان الأول "في مجالات التعلّم" من الباب السادس "في مرجعية التعلّمات" الذي نصّ في خاتمة التعلّمات الأساسية المطلوبة (لغات ورياضيات وتكنولوجيا) على أنّ "توليّ البرامج عناية خاصة بتدريب المتعلمين على استعمال تكنولوجيا المعلومات والاتصال باعتبارها وسائط لبلوغ المعارف وللتعلّم الذاتي".

كما نصّت الخطة التنفيذية لمدرسة الغد 2002-2007 على أنّ "التحوّلات العميقة التي يشهدها العالم اليوم في ميادين المعرفة والتكنولوجيا والاتصال وتأثيراتها في كل مجالات النشاط الإنساني تُحمّل المدرسة، أكثر من أيّ مؤسسة أخرى، مسؤولية الاضطلاع بمهمة المواكبة والتأهيل الضروريين لتقليص الهوة بين الأمم التي تنتج المعرفة، وغيرها ممّن لا حظ لها في هذا المجال".

وأكدت الخطة على أنّ التحديات الخارجية والداخلية التي تواجهها المدرسة التونسية تطرح عليها رهانات غير مألوفة منها "التحكم في التكنولوجيا الجديدة للمعلومات والاتصال... ذلك أنّ الموارد الهائلة التي تُوفّرها هذه التكنولوجيا، سواء في باب المعارف ذاتها، أو من حيث المسالك المؤدّية إليها، تُتيح تطوير كفايات متنوّعة ضرورية لِنحتِ خريج مدرسة الغد بمؤهلاته المتميّزة التي تجمع بين مرونة الفكر، والقدرة على التكيف، وحسّ المبادرة، والميل إلى البحث عن الحلول المبتكرة والعمل المنقن".

يتبيّن من خلال هذه الشواهد، إذن، أنّ ما نصّ عليه القانون التوجيهي لسنة 2002، والخطة التنفيذية لمدرسة الغد 2002/2007، حوّل ضرورة العناية بتكنولوجيا الإعلام والاتصال في التعلّمات ثورة حقيقية في مجال التحديث التربوي، وهذا بشهادة جهات خارجية لبعض المختصّين في شؤون التعليم والتنمية الرقمية "وضعت وزارة التربية التونسية منذ سنة 2002، وقبّل غيرها في إفريقيا والعالم العربيّ، السياسات والاستراتيجيات لتحقيق ذلك وفق مقاربة تعليمية تعليمية تكوينية واضحة المعالم"<sup>12</sup>. لكنّ ما حدث بعد ذلك لم يكن في مستوى هذا النصّ المتقدّم.

<sup>12</sup>نوا يارو، 2017، "التعليم في تونس، التكنولوجيا كأداة لتحسين المردود"، مُدونات البنك الدوليّ (أصوات عربيّة). 2017-10-24.

## 2-2- على مستوى الإنجاز:

وبعد سنوات من صدور القانون التوجيهي والخطة التنفيذية لم تتغير الأمور كثيرا في مجال إدماج تقنيات الإعلام والاتصال في تعليم اللغات الذي ظلّ على مستوى الممارسة أقرب إلى الطرق القديمة ببرامجها وفصولها وطرقها وكتابها المدرسي. إلى أن تضافرت التقييمات الدورية لهيئة التفقد البيداغوجي، مع الأصوات التي ارتفعت بعد عدة سنوات في الصحافة الوطنية، على التنبيه إلى التراجع الكبير في مكتسبات التلاميذ التونسيين في اللغات.<sup>13</sup>

لهذا اتخذت وزارة التربية تدابير لتدارك هذا الضعف، وأصدرت مناشير ومذكرات تؤكد على ضرورة مواكبة التطور التكنولوجي والرقمي في مجال تدريس اللغات بدعم التكوين الأساسي والمستمر لمدرسيها. وكان تعليم مادة الإنجليزية سبّاقا إلى المبادرة وإدماج تقنيات الإعلام والاتصال، مقارنة بمادة الفرنسية ومادة العربية. ويعود ذلك إلى التعاون النشط مع مصالح التعليم ببريطانيا. فتمّ على المستوى الوطني تكوين عدد هام من مدرّسي الإنجليزية، ليتولّوا بدورهم مهمة تكوين زملائهم في الجهات، حتّى أنّ هؤلاء عُرفوا، في ما بعد، بالسلك المشترك بين الإنجليزية والإعلامية.

وسنة 2009 انطلقت تجربة "مخابر اللغات" والسبورات التفاعلية، لتدريس اللغات، بشكل مواز للتدريس العادي، في مخابر مجهزة بحواسيب للتلامذة مرتبطة بحاسوب المدرّس وسبورات تفاعلية، بنظام الفرق (15 تلميذا في كلّ فريق). وقد تمّ تجهيز كلّ مؤسسات التعليم الإعدادي بهذه المخابر، أمّا في التعليم الثانوي فقد تمّ تجهيز المعاهد النموذجية. وفي آخر سنة 2009 تمّ إحداث 850 مخبر لغات جديدا في نطاق العمل على تعميم هذه المخابر على كافّة المؤسسات التربوية.

كما اهتمّت الوزارة بتطوير محيط تعليم اللغات وعدم الاقتصار فيه على التعليم الصفي. فتمّ توسيع شبكة النوادي الخاصة باللغات الأجنبية يتولّى تنشيطها مدرّس ذو كفاءة وإشعاع رفقة تلامذة متفوقين في المادة. وقد لوحظ تقدّم نوادي الإنجليزية عدديا ونوعيا في جلّ المؤسسات التربوية.

لكنّ تجربة "مخابر اللغات" لم تستمرّ أكثر من ثلاث سنوات وذلك لسببين رئيسيين، أولهما اقتصارها على البعد التقني وغياب الرؤية الشاملة المنظومية لإدماج الوسائط، وثانيهما حدوث ثورة 14 جانفي وما تبعها من انفلات أدّى، مع الأسف، إلى اعتداءات كثيرة على المؤسسات التربوية وتجهيزاتها، وخاصة

<sup>13</sup> منية اليوسفي، 2008، ضعف مكتسبات التلاميذ في اللغات، ماذا عن آليات التدارك؟ جريدة "الصباح". تونس 26-10-2008.

الرقمية منها. وللأسف لم يتم تعويض ما تم تخريبه من مبانٍ، وإتلافه وسرقة من تجهيزات إلا بشكل محدود لم يسمح بتواصل مشروع مخابر اللغات. (يذكر أحد الباحثين في التعليم عن طريق الوسائط الرقمية أنّ تجربة مخابر اللغات في فرنسا في فترة السبعينات آلت إلى المصير ذاته بعد عشر سنوات من بدايتها<sup>14</sup>).

سنة 2011 تمّ إحداث المركز الوطني للتكنولوجيات في التربية CNTE، وكانت هذه أول خطوة رسمية وطنية تخطوها وزارة التربية من أجل إعداد الأراضية الضرورية لإدماج تقنيات الإعلام والاتصال في التعليم وذلك بصفته مُزوّد خدمات الأنترنت بوزارة التربية. ومهمته الأساسية المساهمة في تنفيذ الاستراتيجية الوطنية في المجال.

وقد أشرفَ المركز الوطني للتكنولوجيات في التربية، منذ إحداثه، على إنشاء موقع "المدرسة الرقمية التونسية". ويقدم الموقع جملة من الخدمات لفائدة التلاميذ والمُربين والأولياء من أهمها إمكانية تصفح النسخ الرقمية الكاملة لجميع الكتب المدرسية وتحميلها، والإطلاع على محتويات الاقراص الليزرية المرفقة بهذه الكتب المدرسية، وإنجاز ما تقترحه من تمارين تفاعلية وأنشطة تعليمية في مختلف المواد والمستويات، ومشاهدة تسجيلات فيديو لدروس التلفزة المدرسية لفائدة تلاميذ الأقسام النهائية، إضافة إلى توفير بنك للفروض والاختبارات مرفقة بالإصلاح لكلّ المستويات.

ويُعتبر موقع المدرسة الرقمية ذاك نواة أولى لمشروع يعتمد على تشريك المربين وأهل الاختصاص في تقديم الموارد الجيدة، ووضعها على ذمة كافة المتعلمين.

وفي سنة 2012 بدأت وزارة التربية، في نطاق شراكة عالمية، مشروع Connecting classrooms وهو برنامج عالمي للتربية يُشرف عليه المجلس الثقافي البريطاني British Council بالتعاون مع مكتب الشؤون الخارجية لدول الكومنولث Foreign Commonwealth and Development Office (FCDO). وهو برنامج يشمل خمسين بلدا إفريقيا وآسيويا، ويعمل على دعم الإصلاح التربوي فيها، وتطوير برامج التعليم، والترقية المهنية لرجال التربية، وتجويد مكتسبات التلاميذ من خلال الربط آنذاك بين 900 مدرسة، منها 112 في المملكة المتحدة.

وإذا كان برنامج Connecting Classrooms يستهدف تحسين الكفايات الأساسية للمتعلمين فقد كان له دور كبير في إدماج تقنيات الإعلام والاتصال في تعليم اللغات، وخاصة منها الإنجليزية، وذلك لتأكيد

<sup>14</sup> Larry Cuban, 1997, Salle de classe contre ordinateur.

القائمين عليه على إتقان التلاميذ والمدرّسين، وخاصةً مدرّسي اللغات، استخدام هذه التقنيات لأنّ التواصل بين المدارس التي يشملها يتمّ عن بُعد.

ورغم هذا فقد ظلّ المردود دون المجهود. ففي شهر ماي 2015، تمّ تقييم داخليّ وخارجيّ لتجربة إدماج الوسائط في التعلّات عامّة، ولإستخدام مخابر اللغات، خاصّة، بين أنّ مُكتسبات التلاميذ في اللغات، وإدماج الوسائط الرقمية في تدريسها، لم يحقّق النتائج المرجوّة. فكان من أهمّ توصيات لجان التقييم ضرورة تأهيل العنصر البشريّ، وتوسيع قاعدة التكوين في استخدام الوسائط الرقمية.

وأمام هذه النقائص، وفي مواجهة تحديات العولمة، توجّه تفكير القائمين على المنظومة التربوية في تونس إلى "تحسين أداء المنظومة التربوية، وإعداد المتعلمين للانخراط الفاعل في مجتمع المعرفة، والتهيئ لمواجهة متطلّبات المهنة الجديدة القائمة في جانب كبير منها على التكنولوجيات الحديثة والإنتاج الرقمي"<sup>15</sup>.

وخلال السنة الدراسية 2014/ 2015 شرعت وزارة التربية في تونس في "البرنامج النموذجي للتربية الرقمية" بالتعاون مع شركة الإتصالات "أورونج تونس Orange Tunisie". وتمثّل البرنامج في تزويد 100 مدرسة ابتدائية في كامل أنحاء الجمهورية، إلى حدود سنة 2019، بمعدّات وأجهزة رقمية تتضمّن محتويات تربوية. إضافة إلى تكوين 366 من الاطارات التربوية من معلمين ومديري مدارس ابتدائية في استخدامات المعدات والأجهزة الرقمية.

وسنة 2015 أطلقت وزارة التربية مشروع "الحوار الوطنيّ حول إصلاح المنظومة التربوية"، الذي أفضى إلى ضبط مجموعة من الخيارات مثّلت أهدافا استراتيجية للتمشّي الإصلاحيّ منها " دعم توظيف التكنولوجيا الرقمية في الوسط المدرسيّ". واعتمادًا على مُخرجات هذا الحوار، والخلاصات التأليفية التي شخّصت واقع التعامل مع التكنولوجيات الرقمية في أنشطة التعليم والتعلّم، تمّ بناء استراتيجية وطنية حول تطوير التكنولوجيا الرقمية في أنشطة التعليم والتعلّم والتقييم، وفي القيادة التشاركية للمؤسسة التربوية، وهي: "الخطة الاستراتيجية للمدرسة الرقمية 2016/2020".

في شهر جوان 2021 أشرف وزير التربية "فتححي السلاوتي" على الندوة الوطنية التأطيرية حول الإطار المرجعيّ التونسيّ للغات، التي شارك فيها متفقّدو اللغات وخبراء جامعيّون في تعليمها بهدف إعداد وثيقة مرجعية وطنية حول تعليم اللغات. وهذا يعني أنّ من الأسباب التي حدثت بوزارة التربية إلى صياغة وثيقة مرجعية في هذا المجال أنّ تعليم اللغات في تونس ظلّ يشكو، منذ إصدار القانون التوجيهي للتعليم المدرسيّ

<sup>15</sup>خالد الشابي. المرجع المذكور.

سنة 2002، من تذبذب وتباين في المقاربات والمرجعيات التربوية، أدت إلى ضعف في مكتسبات التلاميذ في اللغات إلى حدّ " تسجيل عديد الأصفار في اللغة الفرنسية، ونقص فادح في الإنجليزية لدى عديد المترشحين لامتحان البكالوريا، فضلا عن تدني مستوى تعلم اللغات لدى المتخرجين من التعليم العالي"<sup>16</sup>

### 3: مشاكل التجربة

أشار تقرير البنك الدولي لسنة 2016، في ما يخصّ العوائد الرقمية في عدّة بلدان، إلى أنّ بلدانا إفريقية عديدة استثمرت في تكنولوجيا المعلومات والاتصال في السنوات الماضية، دون تحقيق تحسينات كبيرة قابلة للقياس في تعلم الطلبة أو ممارسات الصفوف المدرسية. وقد كلفت وزارة التربية في تونس لجنة بإجراء دراسة أثبتت هذه الحقيقة<sup>17</sup>.

ومن أبرز أسباب ضعف تحصيل التلاميذ التونسيين في اللغات، في رأينا، على ما استثمر في إدماج الوسائط منذ عشرين سنة، من موارد مادية وبشرية، هو غياب الرؤية المنظومية الديدانكتائية. فكلّ المقاربات والبرامج ومشاريع الإصلاح قامت على رؤية جزئية اهتمت بتوفير التجهيزات الرقمية، وتوسيع ربط المؤسسات التربوية بشبكة الأنترنت، وتكوين المدرسين، دون إيلاء البعد البيداغوجي الديدانكتائي ما يقتضيه من عناية.

في السياق ذاته فهناك مشكلة في تصوّر تدريس اللغات باستخدام وسائل الإعلام والاتصال. فقد توجّه الاهتمام في تونس منذ إنشاء المركز الوطني للتكنولوجيات في التربية، والمدرسة الافتراضية، إلى إنجاز رصيد يتضمّن محتويات لغوية رقمية (دروس، تمارين، امتحانات، موارد...) لكن دون برنامج لتدريس اللغات بالوسائط الرقمية. أي أنّ الممارسة الصفية في تعليم اللغات لم ترتق إلى مستوى "الدروس الرقمية" بمواصفته المعروفة في الأنظمة التربوية المتقدمة. فالمشكلة، في تعليم اللغات، كما يرى بعض الأكاديميين، هي الجري وراء الرقمنة وعدم إدراك حدودها،<sup>18</sup> أي إدماجها بطريقة صحيحة لا تتضارب مع قواعد اللسانيات.

وإذا كان من مبادئ التعليمية أنّ دور المدرّس، وهو أحد أقطاب المثلث التعليمي، أساسي باعتبار الوسيط بين المعرفة العالمية والمعرفة الواجب تعليمها، فإنّ التحوّل الرقمي يقتضي تعديل هذا الدور من

<sup>16</sup> من تصريح للسيد المدير العام للمركز الوطني لتكوين المكوّنين والتجديد البيداغوجي بتونس يوم 4 ماي 2021.

<sup>17</sup> نوح يارو. نوا يارو، 2017، المرجع المذكور.

<sup>18</sup> المختار كريم. اللسانيات في خدمة تيسير تعليم العربية وترسيم حدود الرقمنة. ألكسو / جامعة تونس، اليوم الدراسي لاستشراف آفاق المستقبل. فيفري

2020.

مصدر المعرفة، الخبير، إلى دور المنسق، المُيسر، المرُافق، المنشط. وليس هذا التحول بالأمر اليسير وذلك لسببين أساسيين:

- نقص تكوين المدرّسين، وخاصة منهم مدرّسي اللغات، في استخدام الوسائط الرقمية، وقلة إقبالهم على حصص التكوين، وبالتالي قلة استفادتهم منها.
- نقص التكوين البسيكوبيداغوجي الذي يؤهل المدرّسين للتأقلم مع التغيير والتفاعل مع التقنيات الجديدة، وخاصة لدى المتقدّمين منهم في الخدمة والمشرفين على التقاعد، وهذا ما يُعرف بـ "مُقاومة التغيير La Résistance au changement".

## خاتمة

يتبيّن من كلّ ما سبق، أنّ تجربة المنظومة التربويّة التونسيّة في إدماج تقنيات الإعلام والاتّصال في التعليم، رغم مرور عشرين سنة على انطلاقتها، لم تحقّق إلى حدّ الآن، الأهداف المسطّرة، وخاصة في مجال تعليم اللغات، كما أثبتته التقييمات الداخليّة والخارجيّة، ونتائج الامتحانات الوطنيّة (ضعف كبير في مادّة العربيّة، ومئات الاصفار في مادّة الفرنسيّة في السنوات الأخيرة، (حسب بيانات الإدارة العامّة الامتحانات بتونس). وقد تبيّن أنّ ضعف مستوى التلاميذ في اللغات يؤثّر سلّبا على نتائجهم في الموادّ العلميّة، ويحدّد بالتالي من نسبة ارتفاع المعدّلات والتوجيه الجامعيّ إلى الشعب المرموقة داخل البلاد وخارجها (حسب بيانات إدارة الحياة المدرسيّة ومنظومة التوجيه المدرسيّ والجامعيّ بتونس).

ولا يختلفُ وضع تعليم اللغات في تونس عن وضعها في بقية البلدان العربيّة كثيرا. وفي هذا السياق تطرح إحدى الباحثات التونسيّات، في لقاء نظّمته منظّمة الألكسو<sup>19</sup> أسئلةً حول حظّ اللغة العربيّة من التطوّر الرقميّ منها:

- إلى أيّ حدّ يُمكن للغة العربيّة أن تستفيد من الرقميّات وتلتحق بغيرها من الاختصاصات التي شهدت ثورة حقيقيّة في هذا المجال؟
- لماذا ما زالت اللغات عاجزة عن تحقيق الأهداف التي قد تكون تحقّقت في مجالات أخرى؟

<sup>19</sup>نور الهدى باديس. اللغة العربيّة في عصر الرقميّات، الرهانات والصعوبات. ألكسو/ جامعة تونس.، اليوم الدراسي لاستشراف آفاق المستقبل، فيفري 2020.

ومُنذ ربيع قرن حاولَ أحد الباحثين الأمريكيين<sup>20</sup> أن يستشرف تطوُّر إدماج الوسائط المتعدّدة في التعليم انطلاقاً من ثلاث سيناريوهات: سيناريو التقنويّين Technophyles، سيناريو المحافظين، سيناريو المتفائلين الحذرين. وقد اعتبر أنّ السيناريو المستقبليّ الأفضل هو الذي تستخدم فيه تكنولوجيايات الإعلام والاتّصال في بيداغوجيا لإعداد المتعلّمين للحياة في محيط رقميّ، وللتعلّم والعمل باستقلاليّة وروح جماعيّة، وللعمل بإنتاجيّة عالية، أي باستخدام الوسائل التقنيّة المتاحة وتحقيق أفضل النتائج الممكنة.

وبناء على هذه المُعطيات ألا يتعيّن علينا اليوم التفكير، لا في اعتماد مقارنة تربويّة جديدة، إذ تبيّن عدم جدوى استبدال مقارنة بمقاربة في السابق، بل في تفعيل مجهود إدماج تقنيات الإعلام والاتّصال في تدريس اللغات و"حوكّمته"، بتعبير الإدارة الحديثة، وذلك بضبط استراتيجيّة واضحة المعالم تكون فيها الوسائل التقنيّة "وسيلة" لا "غاية" في حدّ ذاتها، وتكون الغاية بيداغوجيّة ديداكتيكيّة؟

وفي هذا السياق يُمكن الاستفادة، ممّا يستجدّ في مجال تعليم اللغات بالذات. فالأبحاث الديداكتيكيّة والعرفانيّة الحديثة تتوجّه نحو تصوّر جديد للاشتغال الذهنيّ للمتعلم، هو اشتغال قائم على درجة "الترايط" "Connectivité" بين المعارف والمفاهيم. فكّما ارتفعت درجة الترايط هذه كان اكتساب المعارف المدرسيّة فعّالاً، دائماً. وهذا يذكّرنا بالمنظور البنائيّ البياجستيّ، الذي قدّمناه في بداية هذه المداخلة، والذي يعتبر أنّ سقف الذكاء والإبداع لدى المتعلّم مرتبط بمدى إدراكه للروابط بين الأشياء.

وبناء على ما قدّمناه في تعريفنا بالمفاهيم في بداية المُدخلة، فإنّ من مظاهر الخصوصيّة الديداكتيكيّة لتعليم اللغات أنّ اللغة ليست مُحتوى خارجيّاً ينقلها المعلّم إلى المتعلّم، وبالتالي فإنّ تعليمها يقوم أساساً على الممارسة، سماعاً وإنتاجاً شفويّاً وكتابيّاً، وهذا ما يجعل الوسائط الحديثة ذات إضافة كبيرة في تعليمها.

ويذهب بعض المهتمّين بميدان تعليم اللغات بالوسائط، اعتماداً على نتائج الأبحاث العرفانيّة الحديثة، إلى أبعد من هذا إذ يعتبرون " أنّ الذهن البشري يشغل بعملية المَقوَلَة Catégorisation وبدونها لن يستطيع السيطرة على العالم والموجودات المحيطة به وبناء عليه فإنّ مفهوم المَقوَلَة والطّراز والخِطاطة والصنّف كلّها آلياتٌ تُمكنّ الذهن البشريّ من تقسيم الموجودات، والسيطرة على فوضى العالم"<sup>21</sup>.

<sup>20</sup> Larry Cuban، المرجع المذكور.

<sup>21</sup> عبد الرزاق السومريّ، "دور الوسائط المتعدّدة في تطوير درس العربيّة. أشغال ندوة كليّة الآداب بالقيروان "تعليم العربيّة وتعلّمها"، تونس 2012.

كما يذهبُ آخرون، بناءً على أبحاث علوم الاعصاب، والتحليل النفسي، إلى أنّ الإدماج الصحيح لتقنيات الإعلام والاتصال في تعليم اللغات ينسجم تماماً مع طبيعة اشتغال الدماغ البشريّ الذي يتكوّن من قسمين: الأيسر، المسؤول عن العمليات المنطقية واللغة، والأيمن، المسؤول عن الخيال والإبداع. فالمحتوى الورقيّ النصّي وحده، مهما كان متقناً، لا يُبلّغ إلا رسالة جزئية، لا تستنفر طاقات الجزء الأيمن من المخ، أمّا المحتوى الرقميّ، بما يحمله من صور وألوان وأصوات، وبما يوفّره من إمكانيّات المزج بينها والتركيب، ممّا يعزّز ما تسمّيه "ليز فيايرا Lise Vieira" <sup>22</sup> المحتوى الإعلاميّ للرسالة "Le contenu informationnel du message". وهو محتوى لا يقتصر على الإخبار بل يتعداه إلى الوظيفة التخيلية والتأثيرية، مستعيدة بذلك الوظيفة التأثيرية Fonction Conative التي تحدّث عنها "رومان ياكبسن". وترى الباحثة أنّه كلّما احتوت الرسالة على مؤثرات متعدّدة متنوّعة كانت طاقتها الإعلامية، وبالتالي التعليمية، أكبر. وفي هذا السياق تتحدّث عن بلاغة جديدة يمكن استثمارها في تعلّم/تعليم اللغات.. بلاغة تقنيات الإعلام والاتصال.

---

<sup>22</sup> Lise Vieira, Les fonctions métaphoriques du Mulimédia, "Communicaion et langages", Presses Universitaires de France, 109.

